نوفيلا

أحلام وردية

الحلم يراه الخانع أوهام والصانع إلهام

تصميم خارجي : إيمان القاسم

تصميم داخلي : آية يوسف

المقدمة

"هل تظن أن شياطين الإنس سيتركوننا هانئين في دولتنا؟، هل تعتقد أن من ارتفع إلى النعيم، وكان سُلمه جثث الضعفاء والمظلومين، سيخر منكسرا بسهولة بعد تزحزح بعض العظام من تحته؟.. لا تحلم".

من منا لا يحلم بالعيش في "المدينة الفاضلة"، ابتكرها "أفلاطون" وخاض فيها "ابن خلدون" و"الفرابي"، كل منهم له إضافات يُكمل بها رسمته التي لم تكن مجرد خيالات على الورق فقط، بل كانت حياة كاملة خلقها في عقله وحاول تطبيقها على واقعه، أفنى على دراستها أعواما، ولكنهم في النهاية...

فشلوا جميعا...

هل سيتحقق حلم "المدينة الفاضلة"؟!..، هل سنعيش حقا بمدينة مثلها يوم ما في هذه الحياة؟

دعونا نخوض في قصتنا لنعلم..

هل نفقد الأمل وننتظر فرصة دخول الجنان لتحقيق الحُلم؟.. أم نصبر ونحتسب ونسعى؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قبل الحكاية..

مع كثرة الزلازل والانقسامات تفتتت أجزاء لا بأس بها من الكرة الأرضية، فصلتها الماء عن بعضها البعض، فاهتمت الدول بإصلاح ما أفسدته الظواهر الطبيعية مما تبقى تحت سيطرتهم، وعاد التقدم لسيره تاركين معظم الأماكن التي انفصلت كدويلات صغيرة، استولى عليها البعض وجعلوها مستعمرة لها رئيس ودستور وقوانين، فأما أكبر الدويلات كانت التي انشقت عن روسيا أكبر دول العالم القديم في المساحة، لم يسكنها أوربيين، بل كانت من حظ العرب، الذين هاجروا إليها بأعداد غفيرة.

كانت بداية أيامهم بالدويلة جيدة، أسموها "المدينة الفاضلة"، نسبة إلى "مدينة أرسطو"، يتمنون أن يطبقوا كل ما يحلمون بها، وضعوا دستور عادل وسنوا قوانين لا تشوبها شائبة، مع حماسة الانتقال الجديد، حاول الجميع الامتثال إليها، وبالفعل ازدهرت الدويلة لأعوام.

لكن لم يدُم طويلا هذا الازدهار وهذه السكينة، لقد اعتاد المواطنين الذين سكنوا الدويلة من قبل في بلادهم القديمة على الفساد ومشتقاته، وكعادة كل وضع جميل إذا ابتدر أحدهم بتشويهه، يقف خلفه صفوف يقلدونه، ويسعون مسعاه.

بعد مرور 80 عاما من الازدهار وما تلاه من انحدار، كان الفساد قد أخذ من الدويلة والشعب مأخذه، فخرج من تبقى من الشرفاء ليحرر الدويلة التي أصبحت مستوطنة لأصحاب الجاه والسلطة، يعيثون فيها فسادا، دون مراقبة الله، مما وأد تقدمها ونهبت ثرواتها، فأصبحت أسفل قوائم الدول تنمية وتقدم، بات الشعب يسرق بعضه بضمير مرتاح، لعدم مقدرته على كفاية أهله وبيته.

ومن هنا كانت البداية..

الحياة الوردية

- احترس يا "عُدي"..، "معتز" أين "يحيي".

هتف "تميم" وسط أصوات الصراخ والرصاص، يلتف حوله كالمجنون يبحث عن من يعرفهم، يمسح عينه بمحارم ورقية أو للدقة يعصرها ليجبرها على النظر وسط ضباب القنابل المسيّلة للدموع، رغم معرفته بضرر هذا علي عينيه.

رد "معتز" مغمض العينين، يحاول استنشاق بعض النشادر، ليقاوم هذا الدوار الذي يسيطر على رسه، يغسل عينه بالمياه الغازية وبعض الأدوية الفعالة التي نصحهم بها الثوار:

- لا أعلم كان بجانبي منذ لحظات، فلنفترق إذا للبحث عنه.
- لا تنسوا تشغيل سماعات البلوتوث.

قالها "عُدي" وانصرفوا بعد أن ربط الثلاثة محارم قماش حول رؤوسهم غطت أنوفهم وأفواههم، مضيقين عيونهم لتقليل دخول أكبر قدر من كمية الغازات المسيّلة للدموع، يغسلون وجوههم من وقت لآخر بالماء والمياه الغازية.

بالرغم من أن الشوارع في هرج، لكن الكل يساعدون بعضهم البعض، وكأن الجميع قد تناول أقراص "الشجاعة" و"الإيثار" و "الإخاء" فجأة، كلٌ يسعى بطريقته وفيما يفلح فيه، إلا أن هذا

لم يمنع سقوط الكثير من المصابين بالرصاص الحي أو المطاطي أو حتى الإغماءات، بسبب القنابل المسيلة للدموع.

- وجـ.. وجدته.. نحن على ناصية شارع "الفلك"

قالها "عُدي" بأنفاس متقطعة وهو يحاول حمل صديقه، لا يعرف ما أصابه بسبب كثافة الضباب المتجدد، صمت ليلتقط أنفاسه المتلاحقة، ثم أردف بهلع:

- أسرعا لا أستطيع حمله، هناك بقعة دماء كبيرة بجانبه..، أخشى أن...

انقطع الاتصال فجأة، فركضا صديقيه دون توقف حيث أخبرهم، كان أول من وصل "تميم"، الذي تنفس الصعداء حامدا الله عندما رأى صديقه "عدي" يجلس بجانب أحد الأرصفة، لقد خشي أن يكون قُبض عليهما.

اقترب منه مع وصول "معتز"، كان الضباب قد بدأ ينقشع، فمكانهم لم يكن ممتلئ بالناس، ولذلك توجهت القنابل إلى مكان آخر مكتظ، عندما لمحهم "عُدي" صرخ بكلمات متقطعة، وكأنها تسابق دموع عينيه المنهمرة إثر بكاءه، فهما لم يكونا قد انتبها إلى الجسد الممدد بجانبه قبلا:

- قتلوا "يحيي" يا "تميم".. انظر يا "معتز" فجروا رأسه تمامًا.. أي رصاص هذا الذي يُفجّر الرؤوس بهذه البشاعة.

سقط "تميم" على ركبتيه بجانب صديقيه لم يسعفه عقله بعد لاستيعاب المشهد، شخصت عيناه دون أن ترف أو تذرف دمعة واحدة اتجاه جسد صديق طفولته الذي فارق حياتهم للتو، ليس لذنب إلا أنه خرج لنيل حريته وإعادة كرامته ورفع الظلم عن شعبه، لم يُخرب أو يلحق الأذى بأحد، فقط لأنه خرج رافعا يديه في سلمية ليقول "لا أقبل بهذا الظلم دعونا نحتكم إلى العدل؟"

فيما ظل "معتز" واقفا يحس رئتيه على التنفس، يبدو أن أنفاسه خرجت تنعي صديقه وأبت أن تعود، وحده "عُدي" الذي ظل يبكي وينتحب بصوت يكاد يصم أذن المتوفى نفسه.

استفاق "تميم" مع سقوط أول دمعاته والتي تبعها سيول لطالما اعتبرها أغلى ما عنده يتقبل إسالة دمائه ولكنه لا يقبل بتحرير لآلئه أبدا.

- أسرعا.. فلنحمل "يحيي" إلى سيارتنا لا أريد أن يلمسه أحد مرتزقيهم.

نفذ صديقيه ما قاله بأيادي منصاعة تنتفخ أوداجهم وتهوي، ترتعش شفاههم غضبا لكتم أنّاتهم، لطالما كانوا أربعة أصدقاء تتفاوت فترة تعارفهم ولكنهم اجتمعوا جميعا في الثانوي، وتعاهدوا على البقاء معا، لم تفرّقهم ظروف الحياة، يتحملون أعباءها سويا، فصاروا الآن ثلاثة فقط مع جثة رابعهم.

وصلوا أخيرا إلى سيارتهم التي تركوها في بداية شارع "شابلن"، متفادين أماكن التجمعات الكثيفة كي لا يلفتون أنظار القناصة ورجال الشرطة وأعوانهم من البلطجية، وضعوا "يحيي" جالسا على المقعد الخلفي تشيعهم نظرات بعض الثوار هنا وهناك، يعرضون عليهم المساعدة، البعض أفرغ ما في معدته بمجرد رؤية حال صديقهم والبعض سقط مغشيا عليه فيما تماسك آخرون يراقبون لهم الطريق.

لم تكن نظرات هؤلاء وحدها من راقبت المشهد، لمحهم إحدى الصقور التي تعتلي أسطح منازل "ميدان الحرية"، رسم ابتسامة ضبع يهوى الغدر والتهام فرائسه دون خنقها، وأطلق مقذوفه اتجاه أحدهم مخترقا صدره.

صرخ "عُدي" باسمه، وتلقفه "تميم" قبل أن يهوي على الأرض، سقط ثانيهم بنفس سرعة قدميه عندما كانا يتسابقا أطفالا، كان الأسرع لطول ساقيه دوما.

هذه المرة انتحب "تميم" بكل ما أوتي من قوة لم تعد أعصابه تحتمل ها هو "معتز" أول صديق له بين يديه جثة لا حول لها ولا قوة، رافقه منذ بدءا في السير، يقطنان نفس الشارع في عمارتين متقاربتين، لم يختلفا طوال فترة صداقتهما مرة واحدة.

انفطر قلبه بسكين بارد مثّل بنياطه، سلبوا منه عكازه ومستشاره وأخيه، احتضنه بقوة غير مبالي بجرحه، حتى سحبه "عدي" وبعض الشباب بالقوة.

- أرجوك يا "تميم" اتركه أنت تؤذيه، أحدهم يستدعي سيارة إسعاف تقف في منتصف الشارع لنقله إلى أقرب مشفى.
- لا لن أتركه لهم، أحمله معي سننقله بأنفسنا.

نفض أيديهم بعنف وخرجت كلماته بغضب كالإعصار، ثم اتجه نحو صديقه يحاول حمله لم تتوقف سيول لآلئه التي أفرج عنها أخيرا لتحفر وجنتيه، كمياه سد انهار حاجزه فجأة فتدفقت مياهه لتجرف كل ما في طريقها من مشاعر أخرى، ليبقى الألم هو سيدهم الحالي.

اقترب منه "عُدي" يحتضنه من جانبه كي يمنعه بطريقة غير مباشرة، مازال هناك أمل لديه في إنقاذ "معتز" فلايزال يتنفس وإن ضعف النفس.

توقف "تميم" عن محاولة نقل "معتز" واستكان في حضن "عدي" لم يتبقَ له إلا هو الآن، غادره صديق مرحلة الإعدادي وصديق مهده، ثم حوطه بذراعيه بقوة كأم تخشى على طفلها من الخطف، فإذا أرادوا أن يسلبوا أحد آخر فليكن هو، لن يتحمل خسارة ثالثة.

حضرت الإسعاف وحملت "معتز" و"يحيي"، أحدهما تصارع أنفاسه شبح الموت والآخر ارتقت روحه إلى بارئها تشتكي إليه مظلمته.

أصر "تميم" و"عدي" على الركوب معهما، فأخلى باقي الثوار الطريق لهم متمنين لهما إنقاذ صديقهما.

"بالرغم من أن الموت ليس هو الفراق الأبدي، بل عدم اللقيا في الجنان هو عينه، لكنه يؤلم ذوي الفقيد خاصة عندما تمر أمامهم ذكرياتهم وحياتهم معه فيفتقدونها".

وصلوا إلى أحد المشافي الحكومية، نُقل "معتز" على وجه السرعة بعد أن أبلغوا صديقيه أن احتمال نجاته ضعيف جدا، فالرصاصة مرت بجانب القلب بإنشات قليلة.

ضغط "تميم" على شاشة هاتفه بأيادي مرتشعة تشبه كثيرا نفسه المذبذب ومشاعره المشوشة، لم ينتظر كثيرا فأخته "رهف" تعلم بوجوده في الميدان، كما تعلم بوجود الضرب ولكنها امتثلت لتنبيهه بألا تتصل عليه أبدا، فيوميا تمسك بالهاتف عندما يغادر حتى يعود، فلا أحد يعلم سواها بالبيت، أو هكذا يظنان.

- "تميم" حمدا لله أنك اتصلت، هل أنت بخير؟..، الضرب اشتد اليوم كثيرا، كما أنهم قد قطعوا "الإنترنت"، أين أنت وكيف حالك؟

انتظر ثوان يهيئ صوته ونفسه المضطرب حتى لا يفزعها، مرت عليها ثقيلة طويلة، قبل أن يجيبها بصوت خالي من المشاعر أو لعلها تلبدت:

- أنا بخير الحمد لله ولكن...، ولكن قتلوا "يحيي" وأصابوا "معتز" إصابة بليغة قد لا ينجو منها.

صمتت الكلمات وحل محلها الدمعات والأنّات، كتمت بكاءها حتى لا تثقل عليه، حاولت استدعاء الكلمات لتهوّن عليه لكن كلماتها كانت في حداد هي الأخرى، فاستطرد هو بصوت مهتز لم ينجح في إخفاءه هذه المرة:

- أريدك أن تُبلغي عائلة "معتز"، اتصلي بأخته "سيلا" فهي صديقتك، لا أستطيع إبلاغ والديه.

همهمت بحروف ملتصقة ببعضها لم تكوّن كلمة أو جملة مفيدة قبل أن تستطيع تمالك أعصابها فترد بصوت مبحوح:

- كيف أبلغهم يا "تميم"، هل سيتحمل والده العاجز الذي أصيب منذ شهور فقط بالشلل، أم والدته المريضة؟..، أم أخيه ذو الخمس أعوام الذي كان ينتظر مداعبته يوميا لا ينام إلا بها، حتى أخته.. لقد كان رجل البيت.. كان الأب والأخ والصديق لهم جميعا!..

خرج صوته حاد باكي لم يسيطر عليه هذه المرة:

- لا تثقلي علي أكثر يا "رهف" أرجوكِ..، لا تنسي ماذا كان بالنسبة لي أيضا.. أرجوكِ لن أستطيع إخبار والديه، أخته الوحيدة التي ستستطيع التمهيد لهما، أعصابي لم تعد تحتمل، فملابسي غارقة في الدماء كما يدي وجسدي كله، ليست دماء أصدقائي فقط، بل من جمع من الشباب والكبار سقطوا إما مصابين أو مقتولين بين يدي بدون وجه حق، أُزهقت أرواحهم بدم بارد، تاركين لنا عبء المشهد والألم والمقاومة، ليصبح أرخص ما في دويلتنا هو دماءنا نحن الشعب.

بدأ يزداد نحيبه، فأشار إليه "عدي" بأن يتوقف لكي لا يفزعها أكثر، كانت في صدمة لم تتقبل الأمر بعد، صمت ينظم أنفاسه ويستعيد رباطة جأشه، ثم أردف بنبرة حانية:

- لا تحزني يا "رهف" ادعِ للمصابين بالشفاء، وادعِ لموتانا بالرحمة، ربنا يتقبلهم شهداء، ويتوج مساعيهم ومسايعنا بالنجاح كي لا تكون حياتهم التي دفعوها ثمنا للثورة ودفع الظلم قد ضاعت هباء، المهم أن تتماسكي وتذهبي إلي بيت "سيلا" وتخبيرها وتهوني عليها.

صمت هنيهة ثم تحدث بصوت مسموع كأنه يحدث نفسه:

- تُرى أمن الصواب مجيئها دون علم والديها حتى نطمئن على "معتز، أم إخبارهما أولى؟

تحدثت بعد أن هدأت شهقاتها قليلا، تمسح دمعاتها بظهر كفها:

- لا تقلق سأذهب إليها الآن، ونفكر في هذا سويا فيما بعد.
- لا تخبري والدينا بأي شيء، فأنا سأطمئن على "معتز" وأعود لصفوف الثوار مرة أخرى.
- ماذا؟.. لا يا "تميم" أرجوك نحن نحتاجك، فهم لا يميزون يقتلون كل من تطاله أيديهم.
- نفذِ ما قلته لك لست حمل أية مجادلة الآن يا "رهف" أرجوكِ.

أغلق معها الهاتف، كان "عُدي" قد تولى إخبار أحد إخوة "يحيي" بموته، واعدا إياه بانتظاره في المشفى لينهي معه الأوراق بعد التعرف على الجثمان.

جلسا سويا هو وصديقه المتبقي يقرأون القرآن أملا في أن يسكن روحيهما الثائرة ويطفئ غضبهما المشتعل، ويشفي لهما صديقهما.

****

- تمهل يا "تميم" لا تقلق سنلحق بإذن الله، لما كل هذه السرعة كدت تقتلنا.

- أول جلسة في البرلمان اليوم يا "عُدي" وبصفتنا أحد شباب الثورة لابد أن نكون أول الموجودين، لا تنسى أن الدولة لم تُطهر بعد من الآفات التي تخللت الجذور وكادت تبيد كل شيء، حتى وإن تنحى رئيسهم وقائدهم فلا يزال هناك الكثير من الأيادي الخفية والجواسيس والمرشدين المتنكرين.

تقدم "معتز" الجالس على المقعد الخلفي إلى الأمام يقول بمرحه المعتاد:

- لم يقتلنا رصاص القناصة فتريد أنت أن تقوم بدوره..، تمهل يا "دميم".

دفعه "تميم" في وجهه ليعيده إلى مقعده مبتسما، فهذا الاسم الذي يناديه به أخو "معتز" الصغير "ريّان"، لعدم استطاعته نطق الحروف بشكل صحيح لصغر سنه.

- بسبب هذا الاسم سأزيد في السرعة، بالتأكيد سأحصل على مكافأة من رجال النظام القديم لقتلكما.

توقفوا بجانب الطريق لمساعدة إحدى العجائز في التغلب على البلطجية الذين انتشروا مؤخرا، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى طريقهم، لقد تقدم لمساعدة العجوز جمع من الناس بالفعل، فرغم انتشار ظاهرة البلطجة ولكن لم يعد الشعب يقول "نفسي.. نفسي"، بل أصبحوا متعاونون يهمون بإنقاذ كل من يقع في

ورطة أو يصاب بضائقة، يزودون عن أي شخص في أي وقت وتحت أي ظرف، باختصار تخلصوا من سلبيتهم وخوفهم وأنانيتهم.

****

- تعالِ بسرعة يا "نجلا"، سيتحدث "تميم" الآن.
- قادمة حالا.. رغم إن صوته الجهوري سيصلني إلى هنا، أعتقد أنهم يطلقون عليه في المجلس "بُعبُع الجلسة".
- اللهم بارك.. ولدي حبيبي دوما سيظل يرعب الفاسدين ولن يتهاون معهم.

قالتها والدته "أسما" التي مازالت على الفطرة كما معظم الأمهات البسطاء بفخر، مثبتة نظرها على التلفاز تنتظر تحرك "تميم" إلى المنصة بـ "مجلس الأمة" ليدلي بما آلت إليه آخر تحقيقاته في قضية التربح من أراضي الدولة.

لم تحيد بنظرها إلى أي جهة وكأنها أول مرة تراه يخطب أو يتحدث كمسئول مهم بالدويلة، تخشى عليه كثيرا من تصدره في وجه الفساد والفاسدين ومن انشغاله وإرهاقه الدائم، ولكنه يحب ما يفعل، تلقي عليه سيل من التحذيرات يوميا قبل خروجه لكنها من داخلها فخورة به وسعيدة بما يفعله مثله، الكثير يحسدونها

على شجاعته وقوته وأخلاقه، فتعودت ترقيه كلما سنحت لها الفرصة قبل خروجه أو بعدما يعود.

بدأ "تميم" حديثه بخطاب زلزل قلوب الفاسدين، وحتى كل من يفكر أن يخالف ضميره من موقعه بأجهزة الدويلة المختلفة.

صمت الجميع في حضرة خطابه، وحضوره المتميز الصارم ليبدأ هو:

- "سأكررها مادمت حيا، وشباب الثورة الذين جاهدوا لإيصالنا إلى ما نحن فيه الآن، لن يفلت فاسد من قبضة الدولة بعون الله، من يظن نفسه أذكى من منظومة متكاملة تحوي أفضل المتحرين والمحللين!..، من يظن نفسه سيفلت وسط هوجاء الرياح لصغر جُرمه!..، فلا يظن أنه سيفلت من عقاب الله الذي سيفضحه لنا حتما في الدنيا قبل عقابه في الآخرة، وفي كل الأحوال سيقع تحت أيدينا."

صمت هنيهة يجيل بصره في أرجاء القاعة وإلى شاشات الكاميرات، كأنه يرسل تهديده إلى كافة أنحاء الدويلة، ثم حول نظرته الجامدة هذه إلى أوراقه الموضوعة أمامه على الطاولة، شرع في فتحها وأردف:

- أما بخصوص قضية "التربح من أراضي الدولة"، وهي إحدى القضايا التي أُسندت إلى "منظومة المتحرين"، التي تشكلت إبان "ثورة الخلاص" لمحاسبة ومعاقبة كل

الفاسدين والبحث في كافة المخالفات، فإليكم التفاصيل بالأسماء.

رن جرس الباب فانتفض الجميع، كان جُل تركيزهم مع "تميم".

- افتحِ يا "رهف"، من سيزور أحد في وقت جلسات "مجلس الأمة"؟، ألا يهتم بمعرفة ما يدور حوله؟!، هل يريد أن يعود إلى الزمن الغابر !

تذمر "جاد" من الزائر، فهو ليس وحده الذي يريد سماع ابنه، بل كل المواطنين اعتادوا على أن متابعة جلسات "مجلس الأمة"، وكأنها جلسات مقدسة لا يجوز تجاوزها أو الانشغال عنها، يخشون أن يفوتهم أمر ما يخص الدويلة، فيعود بهم الزمن إلى أوقات كانوا يخشون فيها أن يعرفوا معلومة واحدة صدفيا حتى.

لم تعترض "رهف" بل استعجلت حتى تعود سريعا للمتابعة، فبالرغم من أن الأجيال الأكبر سننا أصبحت أكثر حرصا منهم على الحفاظ على مكتسبات الثورة لأنهم جربوا الذل والهوان وفقد الولد من قبل، إلا أن الشباب اتقدت حماسته وأصبح لا يقل تشوقا عنهم في متابعة الأحداث ومجاراتها والمشاركة فيها.

هم يراهنون على الوعي، فدماء أبناءهم وذويهم التي روت كل شبر من أنحاء الدويلة، لم تكن رخيصة حتى يفرطون في حقوقهم أو يتغافلون عن الوعي والشفافية مرة أخرى.

- "سيلا".. كيف حالك؟، أين كنت في مثل هذا الوقت، لقد بلغ المجلس ذروته، فـ"تميم" يقوم بدوره كالمعتاد على أكمل وجه.
- كنت في طريقي إلى البيت وبدأ المجلس فاستأذن مني سائق سيارة الأجرة أن ينزل ليتابعه على أحد المقاهي، فقد أدلى بشهادته في أحد القضايا التي ستعرض اليوم.
- ولم ترفضِ طلبه بالطبع، نزلتِ لتكملي طريقك سيرا على الأقدام، فقليل من السيارات هي التي تخرج للعمل في مثل هذا الوقت.
- أظن هذا الوضع لن يطول، فبعد الثورة لم يكن هناك نفر واحد خارج بيته وقت المجلس، الآن بدأت الناس تستأنف أعمالها وتقضي كافة متطلباتهم أثناء بثه، أخشى أن يعودون كسابق عهدهم لا يعتنون بحقوقهم "فتعود ريما إلى عاداتها القديمة" [1].
- لا تخافي يا "سيلا" فحتى إن لم يتابعوه وقت بثه، فالإنترنت وتسجيل الحلقات سهّل الأمر، سيسمعونه فيما بعد، لقد تحسنت أوضاعهم المادية وأصبحوا يعاملون كآدميين في كافة المصالح الحكومية وحتى الأقسام

[1] - يرجع أصل المثل إلى "حليمة" زوجة حاتم الطائي الذي اشتهر بالكرم والجود، بينما كانت زوجته تتصف بالبخل، كانت تقتصد فى استعمالها لكل شيء، حتى أنها كانت تضع السمن عند الطهي بأصغر ملعقة لديها، وذات يوم أراد زوجها أن يعلمها الكرم فروى لها قصة من الأثر، أن الأقدمين قالوا كلما قامت المرأة بوضع ملعقة سمن زائدة بالإناء عند الطهي كلما ازاد الله في عمرها يوماً، فأخذت حليمة تستخدم السمن بسخاء عند الطهي حتى تعودت على ذلك وأصبح طعامها طيباً.
وفى يوم أصابها مصيبة عندما توفى ابنها الوحيد الذي كانت تحبه كثيراً، حزنت عليه بشدة حتى وصل بها الأمر أنها تمنت الموت، لذا عادت تقلل السمن في الطبخ حتى ينقص عمرها وتموت، فقال الناس "رجعت حليمة لعادتها القديمة".

والسجون، فكيف يتنازلون عن كل هذا؟، أصبحنا مواطنين وليس عبيد أخيرا.

- أتمنى ذلك..، جئت لأسلمك هذا الطرد، طلبه منه "تميم"، تحليل بخصوص بعض المباني، ساعدني فيه أساتذتي من كلية الهندسة.
- وهل ستسلمينه على الباب وتغادري!.. ما هذا الهراء؟، لن تسامحني أمي ولا خاطبك، ألا تسمعين صوته، ها هو يلقنهم درسا كالمعتاد، ادخلِ لتكملي معنا خطابه ثم غادري.
- عذرا يا "رهف" لن أستطيع، لقد اتصلت بي أمي منذ نصف ساعة تستعجلني، سأسمع المجلس من بدايته على الإنترنت، ثم إن بيتي ليس ببعيد، فنحن في نفس الشارع.
- على راحتك ولكن إذا غضبوا مني سأصدرك أنتِ، فأسديّ الشقة لن يرأفا بي إذا علما.

ضحكتا الفتاتان، ومن ثمَّ غادرت "سيلا" لم ترد أن تقلقهم بمرض والدتها، لا تحب والدتها التحدث عن مرضها أو مرض أبناءها، لطالما نصحتهم بألا يثقلوا على الناس بمرضهم فكل فيه ما يكفيه، مقتنعة ألا يقال إلا الأخبار الجيدة أو أخبار الوفاة والأزمات الشديدة للمشاركة والمؤازرة فقط.

****

- في هذه الفقرة سنتحدث بشأن آخر التطورات الخاصة بالمصنع الشعبي، معنا ومعكم على الهاتف المهندس "صهيب الدالي".. أهلا بك يا باش مهندس، لن نأخذ من وقتك كثيرا نعلم مدى انشغالك.
- أهلا بك..، سأكون معكم مدة أقصاها نصف ساعة، أظن هذا الوقت سيكون كافيا لشرح آخر التطورات.
- كافية بالطبع..، لقد علمنا آخر مرة من أحد مسؤولي المصنع أنه بالعفل انضم العديد من أطفال الشوارع ومن لا مأوى له إلى المشروع وجاري تأهيلهم وتعليمهم بجانب العاطلين والباحثين عن العمل، فهل لك أن تشرح لنا هل استجابوا بالفعل أم لا وكيف يتم تأهيلهم، وهل في هذا الأمر مخاطرة بناء على ماضيهم؟
- بداية هذه كانت فكرة صديقي "تميم جاد" أظنه شخصية عامة الآن غنية عن التعريف، وصديقي "معتز غريب".
- بالطبع سيادتك فإنجازات السيد "تميم" تتحدث عنه بما فيه الكفاية، وأيضا الباش مهندس "معتز"، فهو ممن ساهموا كثيرا في التنمية الزراعية في السنتين الماضيتين.
- نعم.. بعد نجاح تأهيل العاطلين، وانخفاض معدل البطالة بشكل ملحوظ، اتجهنا إلى مشكلة أخرى كانت تواجه الدويلة، بل كانت تعد سرطان ينخر في جسدها، فالكثير من هذه الفئة كانت مشاريع مجرمين صغيرة، ومنهم من يُجبر

بواسطة الوصي عليهم سواء من خطفهم أو من أغواهم أو من وفر لهم أبسط سُبل المعيشة، استعنا بمتطوعين أطباء ومدرسين بكليات علم النفس، بل وهناك عدد كبير من طلاب الجامعات بمختلف الكليات تطوع أيضا، وتناقشوا مع رؤساء هذا القسم في المشروع، وضعوا آلية يسيرون عليها، وبالفعل عدد لا بأس به استجاب وجزء في الطريق إلى الاستجابة، وآخرون غادروا المكان رافضين المشاركة.

- حزينة من أجل من غادر، ليتهم تقبلوا الأمر، لن يخسروا شيء، بل سيحصلون على وظيفة ومأكل وملبس ومسكن وتعليم، كل شيء مجاني وفوق كل هذا سيتقاضون راتب أيضا ليرسله كل منهم إلى ذويه حتى وإن كان المبلغ زهيد في البداية، هذا لأن الإنتاج في بدايته، ولكن ما أسباب رفضهم؟
- متعددة.. أغلبها أنهم لا يحبون أن يكونوا مرؤوسين، وأن الأجر زهيد وما إلى ذلك، هذا أيضا نحسب حساب له، فكل شخص يدخل إلى المشروع يتم أخذ كل بياناته وتصويره، حتى وإن كان لا يملك أي إثبات شخصية تتعاون معنا مصلحة السجل المدني والحكومة والصحة ويتم تستنينه والتوصل لكافة سجلاته بالدولة، فيتم متابعته سواء من بعيد أو قريب.

- ما أجمل وأقيم هذا المشروع..، وما أخبار المتطوعين؟، هل يزدادون أم يقلون ويصابون بالملل كما نشرت إحدى الصحف؟
- أحب أوجه شكر خاص لكل المتطوعين، فمنذ تحدثنا عن المشروع، ما جعل الدولة تقدم عليه بهذه السرعة هو تطوع الكثير من المواطنين في كافة المجالات، وحتى الآن ينضم إلينا المزيد، أما من يتركنا يغادر لأسباب خاصة يعد بالعودة بعد تحسن ظروفه، الكل متحمس للفكرة منذ أول يوم، الكل يعمل دون راحة أو هوادة، فالبرغم من إعداد هيكل تنظيمي يترأسه هيئة خاصة به إلا أن الجميع يعمل دون أن يحثه أحد، فقط نتفق على الآلية ثم فجأة تجدي الكل شعلة حماس، وبالعكس لم يصابوا بالملل إطلاقا، فالمشروع يتقدم سريعا وقريبا سنعلن عن أول منتج من إنتاجنا.
- وهذا خبر حصري لبرنامجنا شكرا لك يا باش مهندس على جهودكم، هذه السرعة في الإنتاج وبعد سنتين من العمل الدؤوب، هذا لأن الفكرة نُفذت بطريقة صحيحة بأيادي مخلصة وعقول مبدعة، ممتنين لاقتطاع هذا الوقت لاطلاع الشعب على آخر المستجدات.

أنهى "صهيب" اللقاء ورد على اتصال "عُدي" بترحيب:

- أوحشتني يا رجل، كم بطل دربته حتى الآن؟

- إذا كنت أوحشتك كنت اقتطعت من وقتك كما هو الحال مع البرنامج الذي أغلقت معه للتو.
- أنت تعلم حجم انشغالي في المصنع، فأنا اقتطع من وقت نومي حتى، نحن في مرحلة حرجة جدا، الفئات التي نتعامل معها كعمال ومنتجين بالرغم من مراقبتهم جيدا وإعادة تأهيلهم إلا أني متخوف منهم جدا.
- فعلا هي مخاطرة كبيرة، في رأيي كنا بدأنا بالباحثين عن العمل والعاطلين حتى انتجنا وأصبح هناك عائد ومنظومة متكاملة بمعنى الكلمة، ثم نستعين بهؤلاء.
- حاولنا إصلاح أكثر من طرف في وقت واحد، بالطبع كان مجهود زائد علينا ومخاطرة منا ولكنّا آثرنا فعل ذلك بعد الثورة مباشرة، فالكل كان في أوج حماسه وإخلاصه، لو تباطئنا لكانت هذه الطاقة ثبطت ولعب بعض جذور النظام القديم المتعفنة التي تختبئ في الجحور عليها، فكل خطوة سنبطئ فيها لن يتوانوا عن إفسادها.
- حسنا حسنا لن أغلبك في النقاش يا باش مهندس وخاصة بعد هذا النجاح الذي قمتم به هنيئا لكم، أتمنى لكم المزيد من التقدم، وبعد عشر سنوات من الآن نكتفي ذاتيا من أغلب المنتجات التي نستوردها بل ونُصدرها أيضا.

انتهت المكالمة على وعد متجدد بالمقابلة، في خضم هذه الجهود وبعد سنتين تغيرت الدويلة كثيرا، حاك العديد من الطامعين في

الخارج والداخل الكثير من الحيل والتدخلات لإفساد هذه الجهود، ولكن شباب الدويلة تصدوا للكثير والكثير، ومازالوا يكتشفون ويعاقبون كل خائن بمحاكمات عسكرية نافذة الحكم، تُذاع في التلفاز على الهواء مباشرة ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه أن يعرقل مكتسبات الثورة، فالدماء التي روت أراضي الدويلة ولطخت ثيابهم وأيديهم لابد لها أن تنبت ثمار ناضجة خالية من كل شائبة أو سماد مسرطنة، وها هم قد بدأوا في حصد هذه الثمار سريعا.

****

- ادخل.
- السلام عليك سيدي.
- عليك السلام يا "شهاب"، تعال اجلس.

قام وزير التخطيط عن كرسيه، واتجه إلى أريكة تتوسط الغرفة، مشيرا للضيف بالجلوس على الكرسي المجاور لها.

- العفو سيدي سأستمع إلى سيادتك واقفا.
- اجلس يا "شهاب" ألم تفهمني وتتعرف على أسلوبي بعد!

جلس "شهاب" مبتلعا ريقه، فالوزير معروف بحزمه، لقد رشحه رئيس الدويلة أكثر من مرة لمنصب رئاسة الوزراء ولكنه مُصر على مكانه، معللا بأنه يستطيع أن يخدم البلد منه أفضل.

أراد أن يتملقه ولكن يبدو أنه كما قيل عنه لا يقبل بالتملق بل إنه يزيده حنقا وغضبا، لم يتعامل معه كثيرا إلا من خلال المؤتمرات العامة والاجتماعات الخاصة بأقسام الوزارة، فهذا أول لقاء له معه منفردا، طرد ما يدور بخلده، واستجاب لطلب الوزير.

- أمرك سيدي.
- كيف هو الحال في موقعك كمستشار بوزارة التخطيط؟..، أعلم أنك انضممت حديثا منذ 4 أشهر فقط، ولكن أحب أن أسمع منك لمحة عن الأجواء حولك؟

ازدرد الستيني ريقه ثم تلعثم قليلا قبل أن يتحدث بصوت رخيم ينم عن قدرة اكتسبها بعد خبرة في التحكم في الانفعالات سريعة:

- جيد سيدي، نحن نبذل ما في وسعنا ونخرج بخطط محكمة متقنة تلقى نجاحا في التنفيذ تحت إرشاداتكم.
- علمت أنك تريد التفرد أنت وعدد قليل من مؤيدي فكرتك بوضع بعض خطط المستقبل بينما ينشغل الباقون بوضع خطط لزمننا الحالي.

رفع نظره متعجبا يتأمل ملامح الوزير، يحاول أن يستشف منها مشاعره إيذاء فعله، ولكنه لم يرَ إلا وجه جامد يحمل قليل من

الود، فعزّى هذا إلى أنه بارع في إخفاء انطباعاته وراء هذا القناع، وهذا سبب شهرته في الصحافة بـ"صاحب القناع".

وبما أن مستضيفه تحدث في النقطة الشائكة التي تؤرقه كثيرا، فلن يخفي مراده إذ يبدو أن الوزير على علم بالقضية كلها، هناك من نقل له الصورة، أو هو يراقبهم بالفعل إما من خلال جواسيس أو كاميرات.

تلاحم حاجبيه ورددت نفسه وقد ازداد حنقه:

"ولكن كيف وقد أكدوا جميعا أنه لا تصنت أو مراقبة أثناء الجلسات؟!، وأنهم لن يستخدموا طريقة النظام القديم في الوقوف على الزلات من خلال المراقبات والتهديد بها".

هذا ما جعله يوافق على الانضمام إلى الوظيفة، أخيرا تحدث بعد هذه الثواني المعدودة من التفكير بصوت يشوبه بعض الحقد والتذمر:

- سيدي أغلب الموجودين في قسم التخطيط شباب صغير مبتدأ لا خبرة له، يظن نفسه أذكى من الأجيال المخضرمة مثلنا، يتفذلكون بطرق استعراضية وكلمات منمقة لجذب الأنظار والتحكم في القسم، وهذا أمر لا أقبل به، لذلك أردت الانفراد بأمر ما يكون بعيد عنهم كي لا اختلط بهم كثيرا، كما أنني متأكد من عدم مقدرتهم على العمل فيه وإنجازه.

لم يلقَ رد من مستمعه، فقط نظرات صقر تثقب دواخله وملامح نسر يهم بالهجوم على فريسته، فتابع بسرعة ليدعم رأيه:

- والأهم من هذه النقطة لأنهم يهملون التخطيط للمستقبل، وهذا أساس تقدم أي دولة، فهو نبراس منارتها للسعي قُدما.

عاد الوزير "محي الدين" بظهره إلى الخلف وقد لانت ملامحه قليلا، يرسم ابتسامة على جانب فمه، لم يفهم "شهاب" أهي استهزاء وسخرية من منطقه أم استحسان لتبريره أم لها مغزى آخر، هو الذي لطالما أتقن قراءة الوجوه نظرا لقراءته ودراسته المتوغلة في علم الفراسة، لم يفهم تكهنات ملامح هذا الثعلب.

قطع سيل أفكاره وتأملاته صوت الوزير أخيرا ليريحه من صداع ظنون رأسه:

- هل تساءلت لماذا وضعنا الكثير من الشباب في مراكز قيادية بعد أن كانوا مهمشين لا دور لهم؟، حتى إن تقلدوا مراكز كانت دون المناصب المصيرية أو ذات السيادة دوما.

اندفع "شهاب" دون وعي بسبب غضبه هذه المرة قائلا بنبرة هجومية كعادته التي روضها كثيرا ولكنها لم تختفي مُذ كان في سن الشباب:

- هذا أيضا من سوء التقدير سيدي.. سامحني على وقاحتي فأنا شخص صريح أبوح بما في داخلي، فبعد أن كان أغلبهم عاطلون يعتمدون على أهلهم في كل شيء حتى المتطلبات اليومية، لا يعرفون كيف يديرون حياتهم، مترددون في سائر قرارات حياتهم الخاصة، نُسلم لهم هذه المناصب الهامة وننشرهم في كل مكان دون دراسة، وأين هو مكان ذوي الخبرة؟..، الأجيال المُحنكة التي سقيت المر لكي تبني وتنتج!
- هذا هو لُب الموضوع يبدو أنك لم تسمع خطابات رئيس الدويلة في بداية تقلده لمنصبه منذ سنتين، ها هو سيدخل في سنته الثالثة قبل الأخيرة، ولكن يبدو أنك لم تدرس قرارات ونظام وشخصية من ستعمل تحت سلطته جيدا يا سيادة المخطط المستقبلي!

صمت " محي" هنيهة كعادته لا يحب الاسترسال في جمل طويلة كثيرة وراء بعضها، دائما ما يجعل كلامه موجز مقتطع، ثم أردف:

- لا عذر لك كونك كنت بالخارج فترة لا بأس بها قبل تقلدك للمنصب، أعذرني أنا أيضا أبوح بما في داخلي لا أخفيه ولا أتملق.
- لا عليك سيدي.. أنا أستمع إليك وإلى إرشاداتك، بالرغم من إني سمعت سائر خطاباته ولكني كنت أرها في بدايتها كأي

منتخب يقدم وعودا للشباب بتقلد المناصب ووأد البطالة وخلافه، ولذلك أحب أن أسمع توضيح سيادتكم بشأن هذا الأمر إذا لم يكن فيها تبجح مني؟

قام "محي الدين" من مكانه متجها إلى الجهة المقابلة للأريكة بجانب مكتبه ينظر من النافذة وقد وضع يديه في جيبي سرواله، ثم تحدث كأب يوبخ طفله قبل أن يرشده:

- شخص غيري كان سيجيبك إجابة واحدة، اذهب واسمع خطابات الرئيس القديمة لتعرف التفسير، لا أعلم كيف لا تدرس خطابات وأفعال رئيس جديد بعد الثورة، ما الشيء الهام الذي كان يشغلك عن هذا الحدث الرئيسي؟

تناثرت حبات العرق على جبين "شهاب" رغم برودة المكيف كمذنب، وظهر توتره في ازدياد حركة يده، قبل أن يرد بصوت خافت:

- كنت أتابع وأحلل سيدي ولكني لم أقتنع بالبعض واعتقدت أيضا أنها كسابق الثورات الغابرة، سيوضع سيناريو نسير على خطاه لنؤول مرة أخرى إلى النظام القديم بالتدريج أو نظام أبشع منه، فعكفت على الدراسة والكتب، كنت أتابع عن كثب طوال السنة التي تلت الثورة أثناء الفترة الانتقالية والمجلس الرئاسي للحكم المدني، بعدها مللت فتابعت القليل فترة بعد فترة.

- حسنا.. مع إني أظن أن هذا ليس ديدن رجل التخطيط، الذي لابد أن يتابع كل شيء عن كثب، لأنه يعتمد في خططه على تحليل كل معلومة أم أني مُخطأ؟

استاء "شهاب" فمنذ زمن لم يستطع أحد أن يوتره هكذا، همّ بمسح عرق وهمي عن جبينه بعد أن جف منذ برهة، ثم أجاب بحذر:

- نعم سيدي.. أنت محق، ولكني بالفعل كنت أتابع المجمل، وفي هذا الوقت لم أكن أعمل بالتخطيط، كنت أتابع تدريسي بإحدى الجامعات في الخارج وأؤلف الكتب، ظننت أن هذا سيفيدني أكثر من اللغط الذي كان يدور كثيرا في هذا الوقت، لم أترك ما كنت أفعله إلا عندما انتدبت إلى هنا، وعكفت على تحليل كل معلومة بالفعل منذ تلك اللحظة.
- حسنا لن نطيل طالما تعرف أين خطائك، فلنتنقل إلى السبب الرئيسي، أنت لم تقتنع بالتبريرات التي تقال حولك من شباب متحمسين أنهم أولى من الكبار بالمناصب السيادية والمصيرية.
- بالفعل سيدي.. ولا أخفيك سرا، لقد أصابني هذ بالإحباط والتذمر، لم أعمل بكل طاقتي منذ جئت بسبب هذه الضغائن والمناوشات بين الفريقين الكبار والشباب.

التفت الوزير له، وقد استشف أخيرا كل صفاته ودواخله؛ فهو شخص مخلص ولكنه استاء من تنمر بعض الشباب المتحمسين، الذين يفهمون أيضا الأمر خطأ ويسيئون استخدام وظائفهم، ربّع ساعديه ثم بدأ الشرح له بأريحية، السبب والآلية التي اتخذوها لتنفيذ هذا القرار، طالبا منه الجلوس قبل البدء:

- إن الشباب هم مستقبل أي دولة، عندهم الطاقة والإبداع مثلما تملكون أنتم الخبرة، فإذا استمررنا في تقلد الكبار للمناصب السيادية سيموت كل تقدم نصل إليه مع كل شخص يغادرنا، ونبدأ من جديد مع شخص آخر بفكر جديد، وهذه ليست شعارات نرددها هذه الحقيقة، لذلك وضعنا آلية كي نستفيد من خبرات الكبار ممن وصلوا إلى سن المعاش أو قبله بقليل.

تابع تغير ملامح "شهاب" الدالة على التركيز الشديد، ثم أكمل:

- كان في الماضي عندما تصل خبرة الشخص إلى الذروة نستغنى عنه بحجة وصوله إلى المعاش سواء مبكر أو طبيعي، هذا للموظفين الصغار، أما الكبار كانوا يتمسكون بمناصبهم حتى يغادروا الحياة الدنيا، فتموت معهم خبرتهم سواء هؤلاء أو تلكم، ولذلك قررنا نصنع شباب تتحمل المسؤولية، فنبني المستقبل بأيديهم مع خبرة الكبار.

ازدرد "محي" ريقه وهو يتطلع إلى لوحة رسم عليه نقاط ومناطق كالخريطة ملونة بحسب كل مشروع سيقام بهذه المنطقة، مزيلة بأسماء المشاريع وبجانبها اللون المخصص لكل منهم، وكأنها خريطة تخطيط وليس خريطة جغرافية، ثم أردف:

- ولذلك قررنا كما ترى تقلّد الشباب للمناصب العليا، وأضفنا مناصب تشريفية لذوي الخبرات من الكبار من يسوون معاشهم مبكر ومن تعدى سنهم بالفعل، بحيث لا نفقد الخبرات ونبدأ من حيث انتهينا، هذه المناصب التشريفية كالمستشارين لكل وزارة ومؤسسة حكومية وغيره، وبالفعل هذا النظام طُبق وإن كان به بعض الاعوجاج، نظرا لأن البعض مازال في طور التعلم.

تفاعل "شهاب" مع كل توضيح حتى ابتسم وقد فهم المغزى والسبل التي نفذوا من أجلها قرار تولي الشباب، فعبر عن هذا بكلمات معسولة قائلا:

- هذه الآلية جيدة، بل أفضل من جيدة وهي بالفعل أساس التقدم الذي سيبني أعمدته الشباب ويضع معايير وكميات المواد المستخدمة الكبار كما أوضحت سيادتكم، ولكنها للأسف حاليا لا تطبق حرفيا سيدي.

قطع الوزير عليه تردده باستكمال عيب الفكرة الذي يعملون حاليا على إصلاحه:

- بالفعل هناك عيب ظهر كنا قد علمنا أنه سيحدث واستعددنا له ونسعى لتفاديه حاليا، فسواء الشباب الذين أصاب البعض منهم الحماسة المصحوبة بالغرور والتكبر على المعلومة، أو الكبار الذي ظنوا أنفسهم بهذه المناصب هم الأعلى وظنوها ترقية يتحكمون بواسطتها في من حولهم بتعسف، هذه أعراض طبيعية فهذا فكر جديد لمنظومة اعتادت على الفشل لأجيال مع الأنظمة السابقة.

قام " محي" عن أريكته وهو يضرب فخذيه، معلنا انتهاء المقابلة وهو يضيف أخيرا:

- لن أعطلك عن عملك كثيرا، الآن أنت تفهم هدفي، تفضل على موقعك وسنناقش خطط المستقبل فيما بعد، لكن اعلم أنه من لا حاضر له لا مستقبل له..، سنبني درجة درجة بالسُلم لن نقفز على الدرجات لكي لا يكون بناءنا هشا أجوف فتسقط دفعاتنا سريعا، نريد أن نجد درجة ننزل عليها عندما يزداد هوج الرياح، وعندما نبني درجات عدة تسبق احتياجاتنا نبدأ في صنع الطوابق، لا تنسى أن الأنظمة الفاسدة التي كانت تسيطر على الدويلة امتصت دماءها حتى أعيتها، وهذا لا يقلل من أهمية خطط المستقبل بالطبع ولكن لكل وقته.

نهض "شهاب" محييا الوزير بحفاوة، سعيد بهذا اللقاء أيما سعادة، لقد ارتاح من ثقل كبير كان يحمله برأسه يؤرقه ويثقل كاهله، تبقى القليل من مخاوفه واثق أنه سيتخلص منها تحت قيادة هذا الرجل الحذق المخلص، ختم تحيته بانحناء رأسه دليل على تفهمه للموقف واحترامه لمسؤول فكر وسعى لتبديد قلق ومخاوف أحد العاملين عنه ولم يستهين بها.

غادر مثلج الصدر متحمس للإبداع والعمل بكافة طاقته، فيما اتجه الوزير إلى مكتبه، يضغط أزرار هاتفه الداخلي، فما لبث أن رد عليه سكرتيره فورا:

- أريد منك جمع كافة الأقسام من مستشارين ورؤساء أقسام وتعلن عن مؤتمر صُحفي سيبث على الهواء مباشرة، لبحث كافة المستجدات أمام العامة، لم نقم بواحد منذ شهر.
- أوامرك سيدي، سأنفذ حالا.

أغلق السماعة وأسند رأسه على مقعده، أسبل جفنيه يريد أن ينظم أفكاره ويهذب تركيزه ليعالج هذا الصدع بحكمة وحنكة، هذا المؤتمر هو لُب البداية، كان يعلم هو والرئيس منذ البداية أن الجميع لن يتقبلوا الإصلاحات سريعا، فلابد أن يبدأ في تنفيذ الخطة البديلة وإثارة حماس الجميع الذي بدأ يُثبط ببعض التحكمات، لابد أن يعيدهم إلى رشدهم كما كانوا بعد الثورة.

****

- وختاما أطالب بوضع ميزانية خاصة بزواج الشباب، وقد قدمت دراسة جدوى لمصادر هذه الميزانية وآلية إدارتها في الملف الموضوع أمامك سيدي الرئيس، وبعد دراستها من قبلكم ومن قبل اللجنة المختصة مستعد لمناقشتها أمام المجلس للتصويت عليها.
- اعترض سيدي الرئيس
- انتظر حتى يأتي دورك يا سيد "فتحي".
- لقد تحدثت بالفعل سيدي ولكن اسمح لي باعتراض وتقديم سببه.
- تفضل ولكن في عجالة ليأخذ غيرك دوره.
- شكرا سيدي الرئيس فهذا ديدنك العدل والديمقراطية والـ..
- اختصر يا "فتحي" ما وجه اعتراضك؟

تحدث "فتحي" نائب مجلس الأمة المخضرم لنظام الفساد الغابر وعصر الثورة النظيف، فبعد أن أعلن خطائه بانتسابه ودفاعه عن النظام السابق تقدم مع الإصلاحيين للانتخابات ودس نفسه وسطهم، وإن كان أحد الجذور الفاسدة الذي يتمنى القاصي والداني اقتلاعه، فعلاقته بمن تبقى من رجالة النظام السابق لا تخفى عن أحد، ولكنه بقى بصفته محامي محنّك يعرف جيدا كيف يخفي جرائمه وفساده:

- في البداية نبارك للسيد "تميم" اقتراب عُرسه، ثانيا لقد تقدم بهذه الميزانية لا أعلم لماذا بالذات في هذا التوقيت فراتبه من المجلس ليس بالقليل حتى يتقدم بها أثناء فترة زواجه، ولكن هل حال الدويلة يسمح بأن نزوج الشباب ونقتطع من أموال المشروعات الهامة؟، كما أن هذا سيساعد الشباب على التقاعس عن العمل والاعتماد على الدويلة، لقد كان سابقا أحد أسباب سعي الشباب وصبرهم على العمل هو تكوين نفسه ليتزوج ممن يحب، هل سنفعل له هذا أيضا ليصبح الشباب يُقدم لهم كل شيء على طبق من فضة فنربيهم على التقاعس والاعتماد الكلي على الدويلة؟

شاب بعض المرج الكلامي الجلسة، فدق رئيس المجلس على منضدته، ليوقف هذه الثرثرة التي يعلم جيدا مفتعليها من مؤيدي النائب، من اندسوا وسطهم من رجال النظام القديم:

- الهدوء يا سادة..، هذا اعتراض سابق لأوانه يا سيد "فتحي"، تعودت منك على الاعتراض ولكن هنا أخفقت حساباتك، لقد اقترب موعد زفاف "تميم ولن يلحق بهذا القرار، فمازال أمامنا دراسة ومناقشة وتجهيز آلية للتطبيق، هذا إذا تمت الموافقة عليه من الأساس، هو بالعقل مشروع يستحق المناقشة، فعندما ألقيت نظرة سريعة على الدراسة، وجدت بها جزء كمشروع استثماري

للدولة قبل مساعدة إكفال زواج الشباب، ولذلك أوضح تميم أن الميزانية لها مصادرها ولها آلية تنفيذ لن نقتطع من أموال المشروعات بالعكس، سنناقشه الجلسة القادمة بإذن الله ثم نأخذ الآراء والاعتراضات.

****

- اللهم بارك.. ابني أحلى عروس في الدنيا ينافس القمر في جماله.
- ما كل هذا المدح يا أمي، سيغتر بنفسه هكذا، ثم أنك لم تثنِ علي ربع هذا الثناء حتى؟!

كتفت "نجلا" يديها ترفع إحدى حاجبيها وفي عينيها لوم مداعبة وعلى شفتيها ابتسامة تشرح حقيقة هذا اللوم، فهي التي تلي "تميم" في العمر لذلك يتناكفان دوما.

أدارته "رهف" بإعجاب وصفير تتأمله من رأسه حتى أخمص قدميه، قبل أن تقول لتغيظ "نجلا":

- أمي.. أبي هل أنتما واثقان أننا إخوة..، أريد أن أطلب يد هذا الوسيم.

دفعتها "نجلا" بعدوانية ثم لفت حول أخيها تقيمه، تقول بتكبر:

- حسنا حسنا لا تضخموا من الأمر، فهو كأي عروس لابد أن يلبس ما على الحبل ويتزين ليكون في أحلى حالاته.

تركته ثم التفتت إليه مرة أخرى وكأنها نظرت إلى ما أثار استياءها موجهة نظراتها إلى منطقة ما من عنقه بغضب، ثم تحركت مرة أخرى نحوه وهي تضيف:

- من الذي ربط لك ربطة العنق، هل هذا هو التأنق أيها الوسيم.

كتم الجميع ضحكاته حتى "تميم" نفسه وهم يراقبونها تهندم ثيابه وتتأمله مرة أخرى لترى أي شائبة، ثم رفعت إبهامها تمط شفتيها كمن يبدي رأيه النهائي:

- حسنا الآن أستطيع القول أنك وسيم، ولكن لابد أن تعلم العروس منذ الآن أنك لن تكون لها وحدها لك أختان وأهل لن تفترق عنهم أو تنساهم.

لم يستطع الجميع كتم ضحكاته هذه المرة، علقت والدته من بين ضحكاتها:

- من الحماة يا "نجلا" أنا أم أنتِ..، لقد فهمت الآن سبب تذمرك الزائد، أنت تخشين أن تسرقه منكِ.

راقب الأب ما يحدث بابتسامة لم تفارق فمه، لقد كان يفهم ابنته منذ البداية، فتدخلت "رهف" تغمز لوالدتها وهي تتحدث بلامبالاة:

- لها حق يا أمي فالعروس رائعة الجمال حقيقة، ستسلب أنظار وعقل أخي حتما لا محالة.

ربتت على كتف أخيها وهي تمثل الحزن، قبل أن تضيف:

- تذكرنا من حين لآخر يا "تميم"، لا تنسانا يا أخي.

تبادل الثلاثي نظرات خبث يراقبون ردة فعل "نجلا" في الخفاء وكل يخفي مراقبته بهندمة ملابسه، ازداد اقتراب حاجبيها والتمعت عينيها، ثم زمت شفتيها وهي تعلق أخيرا:

- لا يهم فليشبع الاثنان ببعض، غدا يأتي خاطبي وأنساه أنا أيضا هذا الـ "دميم".

اتجه أخيها نحوها يمسك بيدها ويقبلها وعلى وجهه أصفى ابتسامة له، زادت من وسامته، ثم قال بنبرة حانية:

- وهل أقدر على العيش بدون مناكفتك وشجاراتك ومداعبتك..، سأكون جاحدا إن استطعت.. من يملك أختين مثلك أنتِ و"رهف" ويستطيع نسيانهم؟!، أنتم في القلب قبل العروس منذ ولادتكما، فكيف لامرأة حديثة الدخول إلى

قلبي أن تطرد السكان القدامى، لا تقلقي فقلبي كبير يتسع لكم جميعا.

- صحيح تذكر هي استأجرت مكان ليس إلا ولكننا نحن مُلاك هذا القلب.

قالت كلماتها الأخيرة بدلع كطفلة تتذمر على أبيها لا تتناسب مع سنها أبدا تشير إلى قلبه، كادت تستفزها "رهف" ثانية، لولا رنين جرس الباب، أشار الأب إلى "تميم" الذي كاد يتجه نحوه بالتوقف وهو يقول بمرح:

- لن أعتقك ابق في هذا المأزق أيها الحذق، تمرن على حل مشاكل النساء فأنت على عتبة أكبر مأزق في حياتك لابد أن تتدرب على تذمر النساء وتفهم دماغهم وتقلباتهم.

نظر إليه "تميم" نظرة من يغرق ويحتاج إلى القشة لكي ينجو، ولكن والده لم ينقذه تركه يتخبط في بحر النساء الغويط وضحك بملأ فيه، ثم اتجه إلى الباب ليفتحه لهذا المزعج الذي لم يرفع يده عن الجرس إلا ثوان ثم يتابع مرة أخرى، لا يكتفي بالجرس بل ويدق باليد الأخرى على الباب كدقات "أمن الدولة" في الزمن الغابر.

لم يتوقف الدق ولا رنين الجرس فور فتح الباب، صُدم من يقفون أمامه بوالد "تميم"، فخفضوا رؤوسهم وكوروا أيديهم حرجا

من فعلهم، كان أول المتحدثين هو "معتز" الذي هو أكثر قربا من الباقين من عائلة صديقه:

- عذرا عمي لقد ظننا أن "تميم" هو من سيفتح الباب لا نعرف أن هذا الكسول سيمثل دور العروس فتفتح أنت.

تمتم "عُدي" بصوت خافت ومازالت رأسه منخفضة:

- حسابه معنا فيما بعد.

ضحك "جاد" بعد أن أرعبهم بهذه النظرة الجامدة، وقال بمرح:

- طالما ستحاسبونه وتعاقبونه فأنا أسامحكم.

خرج "تميم" من خلفه يلف ساعده على كتف والده معلقا يفتعل التأثر:

- ما كل هذا الحب يا أبي، بالداخل تركتني أغرق دون أن تمد لي يد العون وحتى عندما أمد هؤلاء الغجر يد العون دون أن يشعروا دفعته بعيدا عني، والآن تشجعهم على معاقبتي، لا أجد ما أقول أنا مصدوم حقا.

لوى والده ساعد ابنه بحركة سريعة كمحترف إحدى الفنون القتالية، لم تختفي لياقته التي اكتملت بانتسابه لكلية التربية الرياضية، رغم تركه لتدريب الرياضات وإدارته لإحدى النوادي الاجتماعية، ثم قال له بخبث:

- أنت لا تفهم..، أنا أقوي عظمك كي لا يجرفك التيار أو تدفعك الرياح سريعا، كما أفعل الآن بحركتي هذه.

سقّف أصحابه بمرح يضربون أكفهم في مقابل بعض، فخرج "صهيب" عن صمته أخيرا:

- أحسنت يا عماه، هكذا هو الأب، اتركه لنا كي نكمل ما بدأت ونقوم بالواجب.

وبعد مناوشات عدة ومحاولات أصدقاءه لإضفاء جو الفرحة على البيت والمنطقة بأكملها، غادر الجميع إلى بيت العروس، الذي هو بالقرب من بيت "تميم"، فوجدها تنزل آخر درجات السُلم تمسك بيد أمها "حسناء".

تقابل الاثنان فتأملها "تميم" بإعجاب، جمالها الطبيعي ولون خديها الوردي خجلا، نظراتها الحيية كانت بمثابة كحل عينيها، توتر شفتيها والإكثار من إطباقهم لوّنها باللون الخوخي عوضا عن أحمر الشفاه الخفيف الذي تضعه، لن يحجب نظره بعد هذا اليوم أو يغضه عنها، ها هي فتاة أحلامه كما تمناها ودعا بها المولى دوما، تنبه على يد "معتز" الذي نغزه بقوة ليخرجه من هيامه وتأملاته.

- لم تصبحا زوجين بعد أيها العاشق، غض بصرك.

جف حلق "تميم" لم ينتبه إلى تأمله ونظرات عينيه التي فضحت ما بداخله بهذه الفظاظة، انحنى نصف انحناءة يشير بكلتا يديه إلى السيارة كي تستقلها العروس، ركبت بالفعل بمساعدة أختيه "رهف" و"نجلا"، ثم فتح "تميم" الباب لوالدتها كي تركب جانب عروسه، فيما نوى أن يركب هو بجانب السائق، إلا أن "معتز" أمسك بالباب قائلا بمرح يحذره:

- هل سأتركك تركب مع أختي و أمي وحدكم، ما الذي يضمن لي أنك لن تخطف هاتين العصفورتين.

قضّب "تميم" جبينه غضبا، وهو يرى "معتز" يركب بجانب أخته بالخلف، ثم أضاف وابتسامة الانتصار لم تفارق شفتيه ليستفز صديقه:

- شكرا لك أيها المهذب على فتح الباب لي، أمي ستركب مع عائلتكم بينما أركب أنا بجانب أختي جميلتي، أما أنت فسأسمح لك بالركوب بجانب السائق لترشده إلى الطريق.

اتسعت ابتسامة غيظ على شفاه "تميم"، وهو ينفذ ما طلب منه بعصبية، فزاده استفزازا قول "معتز" بنزق:

- لف بنا قليلا قبل الذهاب إلى القاعة لأني أحب التجوال بالسيارة في هذا الجو البديع مع هذا الوجه الحسن.

قال كلماته وهو يمسك بذقن أخته، يغمز لها بطرف عينيه، صفق "تميم" الباب بقوة وهو يجز على أسنانه يرد بابتسامة صفراء:

- أوامرك أيها الصديق الوفي، يبدو أني تسرعت في صداقاتك، حسابنا فيما بعد، حلبة المصارعة لم نزيلها بنادي "عُدي".

مال "معتز" على أخته يترجاها بمرح:

- لقد كاد يخلع الباب من مكانه، فماذا سيفعل بي أنا، اشفعي لأخيك فهو كالأسد عندما يغضب يهاجم دون هوادة.

وضعت يدها على وجنته ونظرت إلى عينيه بحنان، ثم قالت بنبرة رقيقة:

- أخي حبيبي..، هل فعل شيء يستحق عليه الافتراس؟!، الأهم من ذلك هل تسأل امرأة الأسد الصفح عنك!.

فغر فاهه لم يستوعب بعد ردها، فرفعت ذقنه لتغلق فمه بيدها الأخرى، وأردفت مراوغة:

- يبدو أنك نسيت أنها أكثر افتراسا وشراسة من الأسد نفسه فهي من تذهب للصيد و...

لم تكمل كلامها، التفت إليهما "تميم" الذي كان يراقب ما يحدث في المرآة، متحدثا بطريقة مسرحية:

- ما هذا؟... مخطوبتي وصديقي المقرب في يوم خطبتنا؟!..، ليتني لم التفت.

اشتعل وجه "سيلا" كجمرة لاتزال يُحمى عليها، تركت وجه "معتز" واعتدلت في جلستها منكمشة على نفسها، تفرك يديها في بعضهما، فرد "معتز" وهو يهندم من ملابسه:

- شكرا لك يا صديقي، لقد أنقذتني من بين براثن زوجة الأسد.. أقصد مخطوبتك.

تناست خجلها للحظة ولكزته في كتفه، التصق "معتز" بالباب ناقلا بصره بينهما بذعر، معلقا وهو يمثل الخوف:

- ما الذي جعلني استقل معكما سيارة واحدة، لقد كنت أخرقا.. ما رأيكما أن تعتبراني أخاكما الصغير، أظنكما لن تفترساه صحيح؟

هذه المرة تقدم "تميم" متكأ على ظهر مقعده بيد وكاد يلكمه بالأخرى على ذراعه، لكن "معتز" رفع يديه يستسلم ويصرخ في السائق الذي هو أحد جيرانهم:

- أسرع يا "رائد" هناك أرواح تزهق هنا، بالله عليك أسرع، إذا بقيت على هذه السرعة ستغير وجهتك بعد قليل إلى المشفى.

استمتعوا حتى وصولهم إلى باب القاعة لم يهدأ الحال ظلت المناوشات بينهم، ولما لا وهذا من أسعد أيام عمرهم جميعا، فنجاح الثورة والسير نحو الأفضل بخطى ثابتة كان حلم بالنسبة إليهم، والفرح بإنشاء بيت مسلم لمحبوبين كبر حبهما معهما منذ الصغر لأسرتين متحابتين كان أسمى مراحل السعادة لهم.

أقيم العُرس بحديقة أحد الفيلل المنتشرة الخاصة بإقامة الأعراس والجميع سعداء، قُسّمت الفيلا إلى قسمين النساء في ركنهن والرجال في خاصتهم يطرب آذانهم الأناشيد، تتباين الفقرات الممتعة، فمتعة الأفراح الإسلامية لا يعلمها إلا من حضرها فقط، تغشاها السكينة ويحفها رحمات المولى عز وجل.

قارب الحفل أن ينتهي سريعا، كما هي اللحظات السعيدة دوما في حياتنا أو هذا ما نظنه، عندما نريد أن يستمر وقت ما لاستمتاعنا به نشعر أن دقائقه تنساب كالماء من المصفاة لا نشعر بها فجميع حواسنا تكون موظفة للاستمتاع بالحدث فقط.

- هل انتهى الحفل بالفعل؟!.. لقد مر سريعا، ما رأيكم أن نمطه ساعة أخرى أو نجعله ثلاث ليال أو أسبوع كبعض الأماكن؟

قالها "عُدي" بخبث وهو يغمز "تميم"، ثم التفت إلى "معتز" الذي اتسعت ابتسامته، وهو يقول:

- أنا موافق، حينئذ تبقى العروس في بيتنا حتى ينتهي الأسبوع.

ضم " تميم" قبضته وكاد يرد، ولكن "معتز" وضع يده على كتفه مزموم الشفتين يأرجح رأسه ممثلا دور الوالد، كاد يتحدث ليقلم أظافر المفترس الذي أغضبه منذ برهة ولكن..

فجأة انقطع التيار الكهربائي عن المكان بأكمله، ساد بعض المرج بين الحضور لمدة عشر دقائق، كل واحد يحاول الوصول إلى طاولته على أضواء كشافات هواتفهم، فركني العرس وحدهما من حديقة الفيلا اللذان سُقف سماءهم كي لا يكشف أحد ما في الداخل، فيما تطوع "معتز" و"صهيب" ليتفقدا مكتب الأمن ليستطلعا الأمر ورفضا مجيء "تميم" معهما.

قال "صهيب" أثناء مغادرته مع صديقه:

- بالتأكيد مكان كهذا لابد أن يكون له مولد احتياطي لمثل هذه الظروف، لا أعلم لماذا لم يعمل حتى الآن.

خرجا من ركن الرجال الذي كان الأقرب إلى بوابة الفيلا، فلم يجدا أحد من العاملين أو الأمن.

اتصل "عدي" بـ "صهيب":

- كيف الحال عندك يا "صهيب" لماذا لم تعود الأنوار؟

- الأمر غريب يا "عدي" تعالى لنبحث عن مكان القابس بأنفسنا، لا يوجد أحد بمكتب الأمن، قصدنا حجرة العاملين لم نجد أحد أيضا، هناك شيء غريب يحدث.
- حسنا حسنا أنا قادم، يبدو أنكما تشاهدون أفلام الحركة والرعب كثيرا.
- حقا؟.. الحق بنا أيها الشجاع، نحن عند مكتب الأمن، صحيح لا تعكر صفو "تميم" لا تخبره بشيء تعال وحدك، وبإذن الله يمر اليوم بسلام ويخيب ظننا.

أغلق "عدي" الهاتف ليجد "تميم" في ظهره يستطلع الأمر.

- ماذا حدث يا "عدي"؟
- لا شيء أنت تعرف "صهيب" و"معتز" لا يجيدون التصرف ويخافون من خيالهم، سأذهب إليهم لأبحث لهم عن القابس.
- ولماذا لما يذهبا إلى مكتب الأمن كما اتفقنا، حسنا أنا قادم معك.
- لا داعي ابق مع مدعويك...
- هيا أنجز وإلا ذهبت وحدي.
- عنيد كعادتك، لا أعرف ما يعجب عروسك فيك.

قالها "عدي" يداعب صديقه ليخفف من حدة توتره فهو أيضا يرى الأمر غير طبيعي وخاصة أنهم يعرفون كثرة أعداء "تميم" من الفاسدين والنظام القديم.

سمعا "صهيب" و"معتز" صوت يقترب قادم من خلفهم بالقرب من حجرة الأمن، التفوا اتجاه الصوت ينظرون القادم على ضوء القمر، فُجعا مما رأيا وسقط قلبيهما، لقد صدق حدسهما، لن تمر الليلة بسلام، بل لن تمر من الأساس.

****

- "سيلا"، ما الأمر إلى أين أنت ذاهبة؟

اقتربت منها "رهف"، وقد عطل القلق جميع حواسها.

- بعثت رسالة إلى "معتز" أسأله فيها أين ذهب، عندما استبد القلق بي، فرد علي بأخرى يطلب مني الحضور عند بوابة الفيلا.
- يبدو أن انقطاع الكهرباء مفاجأة قام بها الشباب ليفاجئنكِ بأمر ما، وأنا التي كدت أشك أن الأمر فيه خطر ما، حمد الله استراح قلبي.

أنهت "رهف" كلماتها وهي تضع يدها على قلبها تتنفس الصعداء.

- أنا أيضا كاد قلبي يتوقف من الخوف، حسنا سأذهب أنا متحمسة كثيرا فباقتراب انتهاء الحفل كان التوتر قد بلغ مني مبلغه، أعتقد أن مفاجأتهم ستخفف عني كثيرا.
- دعيني أذهب معك أريد أن أرى أنا أيضا أي مفاجأة قد جهزوا، لقد رأيتهم ينسحبوا اثنان اثنان مستغلين الظلام وأنا أقف على مدخل ركننا.

بدأت "سيلا" بالسير بالفعل على ضوء هاتفها وهي تقول لها تتعمد إغاظتها:

- انتظري عرسك لتريها إذا، هل طلب "معتز" منى إحضار أحد، بالطبع لا إذا سأذهب وحدي.

دبدبت "رهف" بقدمها في الأرض كالأطفال، وهي تتوعدها.

- ما الأمر يا "رهف" إلى أين تذهب "سيلا" وأين "تميم"؟

سألت "نجلا" وهي توجه كشاف هاتفها على "سيلا" التي اقتربت من الخروج من ركن النساء.

- ذاهبة إلى بوابة الفيلا، كما طلب منها أخيها "معتز"، يبدو أن " تميم" قد أعد لها مفاجأة وانقطاع التيار الكهربائي غير مدبر.

- حمدا لله كأنك سكبت ماء بارد على قلبي كنت خائفة أن يكون الانقطاع مفتعل و...، ماذا؟.. ، كيف لـ"تميم" أن يعد مفاجأة دون أن يخبرنا بها، لقد بدأنا إذا..

تركت "رهف" وبدأت بالسير خلف "سيلا"، فلحقت بها "رهف تحاول إرجاعها، ولكن لا فائدة، فاضطرت للذهاب معها كي تمنع حدوث أي كارثة فغيرتها ازدادت في الأونة الأخيرة بطريقة مبالغ فيها.

****

لم يستوعب "صهيب" و"معتز" الأمر بسرعة، لقد صدموا من المشهد، فمهما بلغ تخيلهم لن يتوقعا أن يقوم أعداء "تميم" بإرسال قتلة محترفين إلى العرس، فأمامهم ستة رجال ملثمون ببنادق آلية يرتدون قناع الرؤية الليلية، ودون أن يتفوه أي منهم، خرجت الرصاصات من بنادق قناصة تعلم اتجاهها جيدا، لم تخترق أذرع أو سيقان بل ثقبت القلب وفجرت الرأس.

اقترب الملثمون بخطوات خفيفة مدربة إلى مكان القتيلان يتأكدون من هويتهما يبحثون فيهم عن مبتغاهم، فتحدث أحدهم بصوت أجش عبر سماعات لاسلكية يضعها في أذنه تحوي ميكروفون:

- سيدي إنه "صهيب" لقد أنجزنا ثلث المهمة.

هتف آخر بسخرية وهو يرفع أحدهم بكلتا يديه من رأسه:

- بل ثلثيها، إنه "معتز" المهندس الزراعي.

سمع صاحب الصوت الأجش محدثه يأمره:

- الآن استدعي أهمهم، أنهي المهمة سريعا وغادروا لا أريد بلبلة، لا نريد هرج وقتلى كُثر كي لا تُضخم الحادثة، يكفي ما سيحدث بعد موتهم من إثارة للرأي العام، لا تنسوا أنهم أصبحوا رجال دولة وذو مناصب عليا الآن.
- سيدي لا تقلق، لقد بدأنا المهمة مع نهاية الحفل كما أمرت والمدعوون قلوا بقيَ أقرب الأقربين فقط، ولكن كما تأمر سنستدعيه ونلحقه بصديقيه ليؤنسهم في الجحيم ثم نغادر سريعا.

ضحك جميعهم منتظرين التقاط صيدهم الأخير للُطعم بعد أن أرسل رئيسهم رسالة من هاتف "صهيب" إلى "تميم" يخبره فيها:

" تعال بسرعة، ولا تخبر أحد، الأمر لا يحتمل التأخير"

- سيدي أخت "معتز" إنها العروس، أرسلت رسالة إلى أخيها الآن تسأل أين ذهب؟

- جيد جدا ابعث لها لتأتي هي أيضا، فيكون حفلة قتلى، سيكون منظر بديع وهم غارقين في دمائهم وقد شبكنا أصابع يدهم في أصابع بعضهم البعض، سأشكل منهم لوحة بعناصر طبيعية من أجساد ودماء بشرية وأصورها، حتما لن أفوت هذه المشهد الجمالي، بالإضافة إلى العروس التي ستُجمل المشهد أكثر وأكثر بفستانها الأبيض أو دعنا نقول الأحمر بعد موتها.

سمع رئيسهم أحد رجاله الأربعة الذين وضعهم بالقرب من مدخل ركنى العرس ليبلغوه بأي تطورات:

- سيدي "اثنان قادمان باتجاهكم أظن أحدهم "تميم" والآخر مفتول العضلات لا أعلم هويته.
- جيد لا بأس بازدياد العدد بالتأكيد سينفع في لوحتنا.

اختبئوا خلف حجرة الأمن كما أول مرة، شاهد "تميم" رجلان على الأرض بالقرب من الحجرة، فأسرع باتجاههما، ولكن صدمته أوقفت حواسه كلها عن استقبال أي شيء، أول من استفاق من الصدمة كان "عدي" الذي شاهد الرجال الستة وهم يخرجون من خلف الحجرة، دفع "تميم" بعيدا ليحصد جسده نصيبه ونصيب صديقه من الرصاصات.

حاول "تميم" القيام للاقتراب من صديقه، ولكن قدماه لم تسعفه فزحف اتجاهه، يتلذذ الرئيس بهذا المشهد، وهو يصوره فيديو

لسيدهم، أبلغه رجاله باقتراب فتاتان خرجا خلف العروس، فمرر الهاتف إلى أحد رجاله ليكمل التصوير، فيما بدأ هو بتسديد سيل من الرصاصات اخترقوا جسد "تميم" أمام عروسه التي خرجت للتو لتكون آخر ما رأت عينه وهو يسقط غارقا في دماءه.

****

- لقد استفاق يا "أمي" حمدا لله، "تميم" حبيبي كيف حالك؟

اقترب منه الجميع، الرؤية مشوشة عنده لم يستطع تحديد الملامح بعد.

- "تميم" أجبنا فأنا لا أحتمل أخبار إضافية اليوم يكفي ما حدث.

بدأت تضح الملامح أمام عينيه رويدا رويدا، ولكنهما اتسعا عن آخرهما، كيف له أن يحدثه؟، ألم يلقى حتفه أمام عينيه.

ربت "عدي" على كتف صديقه وهو يقول بإرهاق باد على جسده وصوته:

- قم يا صديقي لا تخيف عائلتك أكثر من ذلك فالطبيب طمئننا.
- أنت على قيد الحياة؟.. وأنا أيضا؟.. كيف؟

- ماذا تقصد؟، هل كنت تود أن أكون مكان "يحيي" و "معتز"؟!

هتف بها "عدي" بابتسامة على جانب فمه حاول أن يسرقها من مشاعره بصعوبة.

- ماذا تقصد يا "تميم"؟

التفت إلى والده الذي بدت عليه الحيرة والقلق، ترى هل فقد ابنه عقله، أم أنه كان يحلم؟

تنهد "تميم" هو لا يفهم شيء، ولكنه تسبب في قلق من حوله، فبدأ يقص عليهم مجمل ما حدث باستثناء زواجه من "سيلا" خجلا، حتى يفهم منهم ويفهموا منه، إلى أن ختم بمشهد مقتلهم والذي غير مكانه وقال أنه كان في حفلة ما، فوضعت والدته يدها على قلبها، وهي تزجره:

- ما هذا الكابوس يا "تميم" لقد انقبض قلبي، لا تأتي على ذكره مرة أخرى.
- ولكنه ليس بكابوس يا أمي لقد كانت حياة سعيدة بل أحلام جميلة عشتها باستثناء آخرها.
- هذه "أحلام وردية" يا صديقي، نرى أحداثها في أحلام اليقظة فقط، لكن تطبيقها في ظل الأوضاع التي نحياها الآن صعب، بل هو من المستحيل.

شرد "تميم" يتذكر "سيلا" بفستان الزفاف، ثم أضاف بصوت هامس وكأنه لم يستمع إلى حديث "عدي":

- باستثناء آخرها أو جزء منه.

لم يستطع أحد سؤاله عن مغزى كلامه، لقد بادر هو بسؤاله بلهفة كاد يقفز معها من مكانه:

- كيف حال "معتز"؟.. هل خرج من العمليات؟
- لا ليس بعد، ولكن تفاءل خيرا بإذن الله يخرج لنا سالما معافى، لقد رأيت إحدى الممرضات تخرج من حجرة العمليات وطمأنتني.

تنفس "تميم" بارتياح وهمّ بالسؤال عن شيء آخر ولكن قطعه دقات على الباب، دخلت على إثرها إحدى الممرضات رسم الحزن ملامح وجهها بدقة وكأنه حفر عليه، تبتلع ريقها كوقود يدفع الكلام إلى حلقها، لقد تقطع نياط قلبها من كثرة ما رأته من فجع أهالي ضحايا الثورة في ذويهم، ولاسيما هذا الصديق الوفي الذي فقد وعيه منذ ساعتين ونصف بعد أن جلب صديقيه أحدهم في حالة خطر و آخر فارق الحياة، ثم استفاق على هلاوس جعلت الأطباء يعطونه مهدئا ليريح أعصابه، حتى استفاق أخيرا مرة أخرى.

كيف ستخبرهم بالخبر إذا؟، حسمت أمرها وتشجعت، وهم ينظرون إليها متعجبين من توترها وحبات العرق التي ظهرت جليا على جبينها، بالإضافة إلى عينيها الحمراوين:

- لقد جئت..، أنا جئت إليكم لأخبركم بأن صديقكم الذي يدعى "معتز" قد فارق الحياة منذ قليل بحجرة العمليات.

سقط بعضهم أرضا، والبعض الآخر لم يستوعب بعد، فكان أول المتحدثين هو والد "تميم"، والذي قال بصوت مبحوح:

- إنا لله وإنا إليه راجعون

في نفس التوقيت ظهر على شاشة التلفاز التي بالحجرة، "خبر عاجل"، تنقله إحدى المذيعات:

"وختاما لخطاب السيد الرئيس كما سمعتموه أنه تنحى عن منصبه، وتركه لنائبه امتثالا لطلبات الشعب، كما أمر بإعادة هيكلة كاملة بما فيها إعادة لانتخابات مجلسي الأمة والمشورى والمحليات، هذا هو الرئيس الذي لا يلتفت إلى منصب ولا يأمل جاه حقا، وداعا سيدي الرئيس"

انفجر "تميم" غاضبا والدموع تغرق عينيه لا يرى منها شيء وهو يقفز عن فراشه:

- ما هذا الهراء، ما الذي تقوله هذه البلهاء؟!، أي أن كل شيء سيطوى كأنه لم يكن..

لم يرد عليه أحد فقد كان الكل مكلوما، فصرخ:

- لقد فقدنا الدماء المخلصة، فأين النصر؟
- توقف يا "تميم"، ما هذا الهراء الذي تقوله؟، استغفر ربك، لم يحن وقته بعد، فلنرضى بقضاء الله وقدره ونسعى نحن إليه، ماذا دهاك؟، اجلس واسترجع[2]، إنما الصبر عند الصدمة الأولى، اصبر واحتسب واسع.

رطب حديث والده على صدره وعلى صدر جميع من بالغرفة وهدأت أنفاسهم ونشيجهم، فكلام والده لم يدخل إلى قلبه فقط، بل إلى عقله الذي بات يحلله من فوره، فأخذ عهد على نفسه أن ينفذه كله سيصبر ويحتسب ويسعى أيضا حتى النصر لآخر نفس في جسده.

****

- رجعنا من هذه الثورة بخفي حنين، لم نحصد أي شيء، لقد جرف محصولنا دماء قتلانا، وأكل ما تبقى منه أسراب جراد الفاسدين، حتى قتلانا لم ننتقم لهم، ها نحن هنا، لنؤكد على استمرارنا في النضال وأخذ الثأر ودحض الظلم، وإقامة العدل وإعلاء الدين، ولن نرضى بأنصاف حلول، فهل أنتم معي؟

[2] - الاسترجاع: يقال عند المصائب وهو قول إنا لله وإنا إليه راجعون، أو اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها.

رفع "تميم" يده مشعلا الحماسة كعادته في جمع غفير يقف بإحدى الميادين، لقد سعى مثلما وعد وها هو بعد سنة ونصف قد ساهم في حشد الآلاف أي أكثر من المرة السابقة.

جلس بجانب أحدهم أرضا، فابتسم له الشاب، مادا يده معرفا نفسه:

- "صهيب راجي" مهندس معلومات.

تلاشت ابتسامة "تميم"، وتوقفت يده عن طريقها لإتمام السلام، ولكنه سرعان ما أعاد ابتسامته مرة أخرى، وأمسك يد "صهيب" بقوة أثناء السلام.

ضيق "صهيب" ما بين حاجبيه متعجبا من ردة فعل هذا الشاب، لماذا ظهر الضيق على وجهه وهو يعرفه بنفسه؟!، هل صادف أن قابله واختلفوا على أمر ما؟، أو هل تشاجروا من قبل؟، هو لا يتذكر أمر كهذا.

اتسعت ابتسامة "تميم" وأكمل مصافحته بحفاوة، جعلت الجالس قبالته ينكمش على نفسه، متعجبا من ردة فعله الغريبة تلك.

- أعلم أنك تقول الآن أني حتما مجنون، ولكن لأرفع عنك حيرتك، سأقص عليك السبب الذي جعلني أبدو كالأبله منذ قليل، حقا لقد تصرفت دون وعي، وأنت أيضا ستعذرني عندما تسمع مني، لقد رأيتك في "الأحلام الوردية"، لا

تستغرب من الاسم، فهذا ما أطلقه عليها صديقي "عدي" الذي ستعرفه أثناء روايتي لك للحكاية.

****

في الختام

مادمت على حق فلا تتراجع، وإن شاب شعرك وانحنى ظهرك، فإن على الموج أقفز فوقه وأكمل فبحر الحياة قروشه وهمية، فإن هاجت الرياح، أحنى رأسك و تقدم، فحينما ينجلي الغبار سترى كم تقدمت ودفن من خلفك تحت جبال الخمول والسلبية. لا تستهن بخطوة أو فعل تفعله، فالبعض يقلدك، يحتاج لمرشد يقود طريقه، والبعض الآخر يفتقد الشجاعة وينتظر خطوتك.

لا تحكم على الأمور عند الغضب أو الحنين أو الغفلة، فحينما تخرج الفتن سيعلو أصوات وجعجعات كل فريق، فيزداد سراب الطرق الوهمية، لا تعلم أتسير مع أهل الحق أم أنك تخوض مع أهل الباطل، فتأنَ.

هل تعلم كيف يحفر المطر في الصخر؟، إنه "التتابع".. لا ييأس مع رخاوته وصلابة ضحيته، فثق أن جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى أن تقوم الساعة.

لا تتبع الركب لأنه جماعة، فلربما كان في هذا الركب هلاكك، ولا تتبع كل منمق للكلام معسول اللسان، قبل أن تعقل ما يقول، فلسانه كالدنيا حينما تتزين للمؤمن لتغريه وهي القبيحة.

يقول الإمام على كرم الله وجه:

"لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله"

تمت بحمد الله

19 \ 8 \ 2021